

# مركبات التواجد الروسي في الخليج: الاقتصاد وعقم السياسة الأميركية

## موسكو ترتقي بالشراكة الاقتصادية إلى علاقات استراتيجية مؤثرة



وصل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى الإمارات بعد يوم من زيارة قام بها إلى السعودية، وتم خلالها توقيع التقارب بين موسكو والرياض بالتوقيع رسمياً على ميثاق التعاون بين "أوبك" والدول المنتجة خارج المنظمة، وعلى مذكرات تفاهم واتفاقيات، سيكون لها مثيلها مع الإمارات بما يدعم الاقتصاد الروسي بعد استهوائه عام 2014 بعقوبات أوروبية وأميركية، كما يدعم أساس السياسة الخارجية الروسية في المنطقة والعالم أيضاً يثبّت دعائم الحلف السعودي الإماراتي كقوة إقليمية مؤثرة في وقت تراجع فيه الولايات المتحدة وتصدد قوى أخرى إلى جانب روسيا على غرار الصين.

عدلي صادق



كاتب وسياسي فلسطيني

بعد عشر سنوات من زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى المملكة العربية السعودية، أدى العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز زيارة تاريخية جوابية إلى موسكو في العام 2017 ليتم انكسار الجليد في العلاقات التي ظلت شبه مجمدة خلال الحقبة السوفييتية.

كانت العلاقات بين البلدين قد قطعت في العام 1938 استنكاراً من الرياض لإعدام ستالين، الدبلوماسي السوفييتي المرموق والناجح، كريم حاكموف، الذي كان سفيراً لدى السعودية وصديقاً شخصياً للملك عبدالعزيز، الذي نقله كسوفييتي واطلق عليه لقب "الباشا الأحمر".

جاءت زيارة الرئيس فلاديمير بوتين الثانية إلى السعودية، ومنها إلى سافر الإمارات، بجداول أعمال واسعة، بعد أن تجاوز البلدان مرحلة كسر الجليد. فقد صرح وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف، قبل وصول بوتين إلى الرياض، بأن "القيمة الروسية السعودية ستعطي دفعة قوية لشركائنا متعددة الأوجه وستسهم في نموها النوعي وتعزز التفاهم المتبادل بين الشعبين".

### علاقات روسيا مع دول الخليج في مجالات الطاقة والثقافة والدبلوماسية شهدت تحولات مغايرة لرحى السياسة في الإقليم

في السنوات الأخيرة، كان الانسجام السعودي الروسي، على صعيد السياسة البترولية، قد مهد إلى توصل الدول المنتجة لاغرافية أوبك المتعلقة بخفض إمدادات النفط العالمية، وأسهم في بناء

الثقة، وعزز العلاقات الثنائية، إذ تمكنت موسكو والرياض كجهات رئيسة منتجة وموقعة، من تحقيق الاستقرار في أسعار النفط، ما ساعد على استمرار التعاون بين البلدين، في مراقبة السوق البترولية، وتمكين روسيا، بفضل هذا التعاون، من رفع عوائد وارداتها من الطاقة إلى 100 مليار دولار.

### شراكات واعدة

في هذه الزيارة الأخيرة للرئيس بوتين إلى الرياض، جرى التوقيع على 30 اتفاقية وعقد، حسب ما وعد به وزير الطاقة الروسي الكسندر بوفاك في أوائل شهر أكتوبر الجاري. وكان الوزير الروسي وقتها قد أضاف أن القيمة الكلية لهذه الاتفاقيات وأهمها ما يتعلق بالطاقة، ستصل إلى عدة مليارات من الدولارات.

وحجمه، قال كيريل ديميتروف، الرئيس التنفيذي لصندوق الاستثمار الروسي المباشر إن روسيا والسعودية تخططان لتوقيع عقود في مجالات الطاقة والتكنولوجيا والثقافة والاستثمار، على أن يناقش الخبراء الروس مع خبراء صندوق الثروة السيادية السعودي البيات التنفيذ في خطط الاستثمارات المشتركة. وجدير بالعلم أن المنظمين الاقتصاديين الاستثماريين، الروسية

والسعودية، افتتحنا علاقات تعاون منذ العام 2015 ووضعنا خطط الشراكة الاستراتيجية، وتوافقنا في تلك السنة على رزمة مشاريع استثمارية بلغت قيمتها نحو 2.5 مليار دولار، من عشرة مليارات تم التوافق على تخصيصها لسباق هذه الشراكة.

وليس أدل على عزم البلدين على الاستثمار في خيارهما الاستراتيجي الاقتصادي، من مبادرة صندوق الاستثمار الروسي المباشر بافتتاح أول مكتب له خارج روسيا، في العاصمة السعودية الرياض.

ولم يكن من قبيل المصادفة أن تشمل الشراكة الاستثمارية الروسية الحصول على حصة كبيرة من شركتين إحداهما روسية والثانية سعودية، وهما الشركة الروسية لتصنيع معدات النفط "توفوميت" وشركة أرامكو السعودية العملاقة، وهناك تفاوض سعودي روسي على إبتاع السعودية 30 بالمئة من أسهم شركة "غاز بوم" الروسية، لمعالجة الغاز الطبيعي.

عند تأمل هذا السياق ووجهته، نرى أن الأمور، وإن كانت تنجح في خط معاكس لدوران ربح السياسة ومحددات العلاقات الروسية مع دول الإقليم ومواقف موسكو حيال قضايا تقف منها السعودية على الطرف النقيض؛ فإنها تؤثر بوضوح إلى جملة حقائق، من بينها أن روسيا ماضية

إلى تحقيق توازن مع الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، والطموح إلى رجحان كفتها في المنطقة. فروسيا، وقد تحسنت حاجتها إلى علاقات اقتصادية مع الخليج، وإلى التواجد الوازن فيه؛ وجدت نفسها مضطرة إلى إدخال الذراع العسكرية، من خلال استخدام موانئ إيرانية، كبندر بوشهر وجابهار، على ساحل خليج عُمان الشمالي، كقواعد عسكرية أمامية للسفن العسكرية الروسية والغواصات النووية التي يحرسها مئات الجنود من الوحدات العسكرية الروسية الخاصة، على أن يتواجد هؤلاء تحت ستار "مستشارين عسكريين"، ذلك فضلاً عن قاعدة جوية بالقرب من بندر بوشهر، تضم 35 طائرة مقاتلة من طراز سوخوي 35. ويعتزم الإيرانيون والروس تدشين التواجد العسكري الروسي رسمياً في الخليج، من خلال الشروع في تدريبات مشتركة في المحيط الهندي ومضيق هرمز.

### مرحلة جديدة

عندما تصل العلاقات الروسية الإيرانية إلى هذه المرحلة، تصبح محاذير وموانع الحرب في الخليج أكبر، إذ يتواجد الروس على إحداها عسكرياً على الجانب الإيراني منه، ويتواجدون اقتصادياً على الجانب الآخر. في الوقت نفسه يتعزز الدور الروسي في منطقة كانت حكرًا على الأميركيين، وتزداد فرص الحوار للتوصل إلى حل للمشكلات على قاعدة لا ضرر ولا ضرار.

وبينما ينسحب الأميركيون من سوريا، ويحاجج رئيسهم بأن لا فائدة من الانخراط في النزاع الدائر فيها وعليها؛ يؤطر الروس تواجدهم في التي منحهم النظام بموجبها حق التواجد في طرطوس وجوارها لـ49 سنة، ضامنين لأنفسهم النصيب الأوفر بعد انتهاء الحرب، من مشروعات استخراج الطاقة هناك، ويتمركزون في إيران، بعد أن اتخذ ترامب في حقها من قرارات تفاقم أزمة الإيرانيين، وتدفعهم إلى ممارسة الضغوط في مناطق أخرى، وإلى الاستمرار في صنع التوترات في المنطقة، والرهان على مساعدة الروس لطلاق اليد، الذين لا يمتلكون للنواهي الأميركية.

في هذه الأثناء، بدأ أن الإيرانيين اضطروا إلى مساعدة الروس على التواجد في منطقة الخليج، كرد فعل من جانبهم على التهديدات الأميركية. ويرجح أنهم اضطروا اضطراراً، بحكم سوء

في تعزيز تواجدها في منطقة الخليج، وأن الأفراد الأميركي فيه وبه، قد يصبح خلال فترة وجيزة جزءاً من الماضي. ولعل من السابق لأوانه القول إن اكتشاف عقم السياسة الأميركية، وتفوهات الرئيس دونالد ترامب الدالة على هذا العقم، انعكس على السعودية وأقطار الخليج، بقطع النظر عن تطورات أو تعاقدات واهنة، توجي بغير ذلك.

ويصح القول هنا إن خيارات السعودية وشقيقتها في الخليج، لم تعد مثلما كانت قبل عقدين، إذ لم يكن من الطبيعي أن تذهب السعودية إلى مثل هذه الخطوات من الشراكة والتعاون مع روسيا، وبهذا الحجم الكبير. فمع مرور الوقت، وعلى الرغم من بطء التعاون الذي تسبب فيه الصراع في سوريا، إلا أن الروس ظلوا على دأبهم تأسيس علاقات تعاون وشراكة، الأمر الذي يحمل في طياته احتمالات قوية واعدة، بخصوص المواقف السياسية، كاتصاف حلول مشفوعة بجهود روسية لتصفير بعض المشكلات في المنطقة، وتنقيس الاحتقان. فالاقتصاد لا بد أن يعكس في السياسة.

وكانت علاقات روسيا مع دول الخليج في مجالات التجارة والطاقة الروسية والثقافة والدبلوماسية، قد شهدت تحولات مغايرة لرحى السياسة الدائرة في الإقليم. ولم يكن معنى ذلك، أن روسيا تخلت عن مصالحها الاستراتيجية في الشرق الأوسط، لأن دعمها لسوريا، وتعاونها المفتوح مع إيران، يُعتبر مسألة استراتيجية هامة بالنسبة لموسكو، وبخاصة في سعيها

### الصين تدعم التقارب الروسي مع السعودية والإمارات

فرض الإملاءات والتدخل في الشؤون الداخلية. وعلى غرار روسيا تتطلع الصين إلى شراكة قوية مع دول مثل السعودية والإمارات، ولن تشكل لها المنافسة الروسية قلقاً بقدر ما يمكن أن تمثله الولايات المتحدة.

وترى الصين وروسيا أن العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية مع القوى الخليجية تساعد بشكل غير مباشر على تشكيل قوة مجموعة بريكس، هذه القوة الصاعدة في العلاقات الدولية. كما أن دائرة العلاقات الجديدة التي ترسمها السعودية والإمارات تجعلها محل اهتمام كبير يقطع مع سياسة الاحتكار من القوى التقليدية.

وتكتب ميلندا ليو، في مجلة فورين بوليسي، قائلة إن موسكو عادت إلى الصورة كفضل رفيق لبكين، وهذا سيكون له تأثيره على العلاقات الثنائية كما على السياسات الخارجية والتحالفات الصاعدة.

الخليج العربي" في يوليو الماضي، إثر التصعيد بين واشنطن وطهران.

واقترح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين "إنشاء منظمة أمنية وتعاونية في المنطقة". ودعا الدول المهتمة مثل الصين والاتحاد الأوروبي والهند ودول أخرى إلى أن تنضم بصفة مراقب. ورداً على سؤال حول هذه الفكرة، قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية، كينغ شوانغ، إن بكين منفتحة على مثل هذه الاعتبارات.

وأضاف كينغ أن الصين تتابع عن كثب الموقف المعقد والحساس في منطقة الخليج، مشيراً إلى أن الحفاظ على السلام والاستقرار في المنطقة يخدم المصالح المشتركة للمجتمع الدولي. وترحب الصين بجميع المقترحات والجهود الدبلوماسية المؤدية إلى تهدئة الوضع في منطقة الخليج. كما تود أن تبقى على اتصال مع جميع الأطراف المعنية.

وتشارك الصين روسيا في الخطوط العريضة لسياسات التحالف مع الدول، حيث يركز كلاهما على الأبعاد الاقتصادية وتمتين العلاقات بعيداً عن

بكين - تتابع وسائل الإعلام الصينية عن كذب صدر زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى السعودية والإمارات، عاكسة اهتمام بكين بالتوجه الروسي الداعم للحلف السعودي الإماراتي، ضمن سياسة تؤيدها في سياق السعي نحو إعادة ضبط ميزان القوى العالمي.

وتدفع الصين، التي تنتهج سياسة شرق أوسطية ترضي الجميع، باتجاه تقارب روسي مع القوى الخليجية، واستغلال الارتباك في السياسة الأميركية لصالح صعود الصين وروسيا في هذه المنطقة الإستراتيجية.

وتأمل روسيا، المدعومة من الصين، في استغلال الشكوك المتصاعدة في الخليج خصوصاً في الاعتماد على الولايات المتحدة ضماناً وحيدة للأمن فيها لاقتراح هيكلية جذرية أمنية في المنطقة.

وكانت بكين ردت بإيجابية على دعوة موسكو لتشكيل تحالف إقليمي لضمان الأمن في الخليج العربي في ظل اتباع الولايات المتحدة وإيران أجندتهما المنافسة هناك. وقدمت روسيا لأول مرة وثيقة "مفهوم الأمن الجماعي في منطقة

### شراكة يطال مداها الفضاء

أدائهم في تعاملاتهم الأخيرة مع روسيا، لاسيما حيال ما يعتبره الروس حقوقاً لهم من عوائد نفل وغاز بحر قزوين. ويتبدي عامل الاضطرار من خلال العلاقات المشوبة بالنوتر الميداني بين إيران وروسيا على الأراضي السورية. فقد رحب الإيرانيون بالتواجد الروسي على أراضي بلادهم، كجواب موضوعي على تواجد الأميركيين على الضفة

الأخرى من الخليج. فإيران، في هذا الخضم، باتت في أمس الحاجة إلى حليف جيوسياسي، يخفف عليها احتمالات الهجوم الأميركي، بتأثير سياساتهم التي تقابل التصعيد الأميركي بتصعيد مضاد، كاسلوب لا يبدل له، لمقاومة الحصار والتهيش السياسي والحرمان الاقتصادي، وعلى الرغم من تأكيد الأميركيين أنفسهم على كونهم لا يعترضون الهجوم، بل على الرغم من الفجوة التي نشأت في هذه المسألة بين واشنطن وتل أبيب التي ابتلعت تراجع ترامب عن التهديد العسكري لإيران، وصممت وفاء لما قدمه ترامب لها في القدس والجولان، خلافاً لقواعد العلاقات الدولية وقرارات الأمم المتحدة.

ثم إن إيران، وجدت نفسها مجبرة، بتأثر العقوبات الاقتصادية، على إبرام صفقة مالية مع روسيا، لكي تتجاوز حال التقشف الشديد، الذي من شأنه تاجيح الشارع ضد سياسات حكاهما، وإعادة الحيوية للمجتمع المدني الإيراني، وتوسيع شعبية المعتدلين في النظام. كل هذه العوامل الروسية جعلت

موسكو قادرة على توسيع دائرة حركتها الدبلوماسية وتعاونها وشراكتها الاستثمارية التي تتجاوز السياسة، وتشمل كل أطراف الخصومات في الإقليم. وربما قرأت السعودية، لاسيما في لحظات الضجر من الأميركيين وسياساتهم وتفوهات رئيسهم، هذه العوامل، ولم يكن شيء يمنع الرياض من التعاون مع روسيا، طالما أن وجودها على ضفتي الخليج، سيكون عنصر تهديء لا عنصر توتر.

الروس، بطبيعة سياساتهم باتوا يركزون على الاقتصاد، بل بحاربون، كما حاربوا في سوريا، لدوافع متعلقة بأفاق استخراج الغاز من باطن أرضها وبحرها. لذا تراهم يجمعون في جوف واحد، السعودي والإيراني، والنظام السوري مع النظام التركي، والدول الصغرى في الخليج مع خصومها، وهم في هذا السياق، لا يكتفون للأيديولوجيات ولا لاعتبارات الدول وسياساتها، طالما أن طريقهم إليها سالكة. ثم ساعدتهم سياسات ترامب، وتعدد تراجعاته ولقطات نفذ يده من قضايا حلفائه المحليين، على توسيع دائرة دبلوماسيتهم وتعاقداتهم الاقتصادية.